وحدث الشيء الرهيب قبل ان اتم جملتي . كنا نقف وراء المنعطف مباشرة حيث لمحت عبد الكريم لاول مرة ، وكان يبعد عنا حوالي خمسة امتار ولكن وجهه كان متجها نحو المنعطف ، وهكذا فقد شاهد تلك الشاحنة اللعينة قبلنا حين اطلت بأنفها الاحمر منزلقة بلا صوت تقريبا حول الطريق الموحل ، وفجأة انقلب كل شيء راسا على عقب ، وفيما كان السائق يكبح شاحنته تطايرنا من امامه ناجين بأنفسنا ، وهكذا طار عبد الكريم مثل حلم .

كنت قد بدأت اخطو حين رأيت الشاحنة فجأة تسد الطريق فتفتح امامي ابوابا لا حصر لها ، لقد دارت اللحظة الراعبة دورتها الجنونية ، ووقف الكون كله على صهوة جواد . كانت الجياد جميعا تقف على طرف الطريق تتلهى بالتهام العشب ، وقد لمحت الكابتن بلاك يدور حول نفسه مذعورا حين كنت اعتلي صهوة اقرب جواد لي ، وحماني المنعطف عن ابصار الجميع ، وضربت كالريح في الوعر الذي يستعصي على الماعز .

لم يهرب عبد الكريم فقط ولكنه هرب ايضا بحصان الجابي ، وفي سرجه ضرائب منطقة ترشيحا كلها ... آلاف من الجنيهات مرتبة ومربوطة وكان من المفترض ان اكون مسؤولا عنها وحاميا لها ... انت لا تستطيع يا ميجور ماكلويد ان تعرف كيف اسودت الدنيا في عيني : فهاءنذا اقف هنالك ليس مهزوما فقط امام عبد الكريم ولكن امام كل الجليل ، ومن حيث اعتقدت انني سأنتصر زججت نفسي في معركة خسرت فيها شيئا جديدا ، لقد فجأتنا الحادثة جميعا ، ولكن جابي الضرائب كان اول من استرد وعيه فقفز كالضفدع المذعور الى حصان عبد الكريم العاري وحين استوى على صهوته نقل الجواد الابيض خطواته مكانها كي يحفظ توازنه ثم وقف كتمثال ، وعبثا راحت جهود الجابي وأزيز مهمازيه وسلخ سوطه ، فقد ظل الحصان واقفا كأن الامر لا يعنيه ، وكان علي ان اتصرف بسرعة فارسلت جنديا الى ترشيحا كي يبلغ ويستنجد ، وأرسلت الجندي الآخر في اعقاب الشاحنة خشية ان يكون سائقها متواطئا ، وعدوت انا ، على ظهر حصاني ، في اثر صدى عبد الكريم ... ولكن ذلك كله كان عبثا : فلا سائق الشاحنة كان شريكا في الحادث ، ولا النجدة وصلت في وقتها ، ولا انا عثرت على عبد الكريم ... اتدري ؟ كنت اقول لنفسي وانا عائد مع الخيبة والمرارة والتعب ان الارض ذاتها هي المتواطئة والشريكة ، وانك كي تقبض على عبد الكريم عليك اولا ان تلقي القبض على الارض ... انك تبتسم ، ولكن لو كنت مكاني لفعلت مثلي ، وقفت فجأة واخذت اطلق الرصاص على الشجر ، على الصخر ، على البلان ، على شقوق السيول ، على الطرق الرفيعة التي تطل وتختبىء ... وكان صدى الطلقات يمضي في ذلك العراء ويرتد الي كالقهقهات ، وكان عبد الكريم ذاته وراء كل شيء في ذلك الجرد ، يقيسني بعينيه اللامعتين الخبيثتين ويضحك ، مع الارض ، على غضبي ...

كانت حوافره ثابتة كأربعة مسامير وهو يضرب فوق الشوك والصخور ويلتزم المنحنى مثل من تعلم ان يهرب ، وسميته « ريح » فاستجاب دون تردد ومضى ينفض عرفه معتزا وقابلا لشراكة الفرار ... وبعد نصف ساعة عرفت انني ضيعتهم مرة اخرى فابطأت ، وعندها فقط شعرت بالخرجين تحت فخذي ينطان برفق على ظهر « ريح » ، لوهلة حسبتهما محشوين بالطعام ، ولكن الملامسة خيبت املي . نزلت وانزلت السرج وفتحت الكيسين فاذا بالمكان الاجرد يزهر بتلك الاوراق الخضراء ، واذا باللحظات الخارجة عن العقل تدور دورتها الجنونية من جديد ، فهاءنذا مع رجل غني ، اغنى مما كنت احلم وانا طفل ، ورغم ذلك فانا لا استطيع ان اشتري شيئا ، ولا حتى كسرة خبز وليس لي في هذا الكون كله، من اوله الى آخره ، انسان استطيع ان أعطيه شيئا ، وفي الوقت نفسه فقد اضفت من حيث لا اعي صفحات سوداء جديدة ، مثيرة للغضب والهياج ، في سجلي الموجود في مكان ما ينتظر ان ينفض عنه الغبار ذات يوم ...